الصورة وأثرها في تشكيل الأنماط السلوكية لدى الأطفال

د.خلفلاوي شمس ضيات
جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

الملخص

تعتبر الصورة في عصرنا الحالي من بين أهم الوسائل المستعملة، ليس فقط للترويج التجاري وتسويق السلع، وإنما لتسويق ثقافات وقيم البلد الأصلي لهذه السلع والمنتجات، وهذا نظرا للدور المتعاظم للصورة وقدرتها المذهلة على إحداث التأثير على الأشخاص المشاهدين، وكما يقال فإن صورة واحدة قد تؤدي من المعاني ما لا يمكن أن تؤديه مئات السطور والصفحات، فهي تحدث وقعا في نفس المشاهد قد لا يضاهيه وقع أي وسيلة أخرى. ويعد الأطفال من أكثر الفئات العمرية إعجابا بالصورة التي يشاهدونها عبر التلفزيون، ولعل هذا الاعجاب يرجع بطبيعة الحال إلى الخصائص التي يتمتع بها هذا الجهاز من صوت وصورة وحركة وألوان، تلك الخصائص التي تجعل التلفزيون وسيلة جذابة، وباعثة على الانبهار بالنسبة لهم.

كل هذه المعطيات، جعلتنا نتوجه بالبحث لتحليل عينة من البرامج الخاصة بالأطفال، بهدف الوقوف على ما تحمله من مضامين تتعلق بتشكيل بعض الأنماط السلوكية لدى الأطفال، ولهذا سنحاول في هذه الدراسة الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:

كيف تؤثر الصورة في تشكيل الأنماط السلوكية لدى الاطفال ؟

الكلمات المفتاحية: الصورة، التلفزيون، الرسالة الاشهارية، الانماط السلوكية.

Summary in English

Nowadays, picture is considered as one of the important tools used not only in marketing, but also in spreading the culture and the values of a nation. This is due to the great effect that the picture has on the spectator's spirit and thoughts because one image is able to express many ideas at one time, in addition this latter can express what hundreds of lines failed to say.

Children, in comparison with the other categories of society, are known by their appreciation of pictures that appear in television, and this fascination comes from the nature of this aid, because it consists of colors, pictures, actions and sounds that make it attractive for them.

Departing from those facts, we conducted a study on sample of children's TV programs, aiming at finding their effects on children's behavior. Through this study we will try to answer the following question:

What is the effect of pictures on children's behavior?

Key words: picture, television, advertisement's message, behavioral categories.

المقدمـــــة:

في العقدين الأخيرين أصبحت الصورة الحية أكثر الوسائل الإعلامية إقناعاً، وقدرةً على التأثير وبمثابة المكون الأهم والباعث للفعل وردة الفعل عند الإنسان والصورة كمادة حقيقة تختزن في داخلها المحسوسات الواقعية والخيالية المدرك وغير المدرك منها، وقد تشكلت من خبرات الإنسان على مر العصور في صيغ ثابته ومتحولة وفي تشكيلات تلقائية وقصدية تؤثر في الأفكار وتعطي للثقافات سماتها وتمدها بطاقاتها الكامنة والتي إما منطقية مرتبطة بفكرة أو دلالية "مادية" مرتبطة بالحس، ومن خلال الفكر والحس والرؤية يتم تحديد جوهر الصورة، وإن ما يمكن أن ينعت به هذا الزمن بزمن الصورة وعصرها الذهبي بكل سلبياتها وإيجابياتها، و(إن التفكير مستحيل من دون صور)[1] كما قال"أرسطو" فالصور تملأ الحياة العصرية وتفاعلاتها وتجسيداتها تغزو الأمكنة والأزمنة، وتجلياتها ومظاهرها وأنماطها وأنواعها تعايش الإنسان منذ بدء الخليقة ومن هذا نستنتج أهمية الصورة كما جاء في المثل الصيني(الصورة تساوي ألف كلمة)[2] ، إن الصورة ليست وليدة اليوم، إلا أن أهميتها ازدادت بشكل كبير في العصر الحديث، فالحياة المعاصرة لا يمكن تصورها من دون صور وهذا ما أكده الناقد الفرنسي"رولان بارت"حيث قال (إننا نعيش في حضارة الصورة)[3].

أصبحت الصورة قادرة على توجيه سلوك المستهلك، والتحكم بذوقه وعقله، وتحديد ماذا يأكل، وماذا يشرب، وكيف يلبس، وكيف يتصرف. كما يزداد تأثير الصورة بسبب تكوينها التقني وبلاغتها التكنولوجية، وإشباعها بالألوان، الأصوات والمؤثرات، بحيث تستفز أحاسيس المشاهد البصرية والسمعية وتستحوذ عليه.

ويعتبر التلفزيون بحق من أقوى وسائل الإعلام التي ظهرت في القرن العشرين تعكس الصورة البصرية، وهذا لما يتميز به التلفزيون من مزايا عديدة يشارك فيها وسائل الإعلام وينفرد دونها بمزايا أخرى، حيث يقدم لمشاهديه المعارف والأفكار والخبرات في مشاهد متكاملة تعتمد على الصورة الحية المعبرة المقترنة بالصوت الدال على عمق المشاعر ومغزى الأحداث والوقائع[4].

يخا□ب التلفزيون أعدادا ضخمة متباينة وغير متجانسة من حيث الثقافة والمستوى التعليمي، والأعمار، والديانة، والمكانة الاجتماعية، والاقتصادية، والجنس، والإقامة، والتوزيع الجغرافي، فضلا عن الخصائص النفسية، والاجتماعية والتي لها دلالتها، والتي تؤثر على مدى الاستجابة للاتصال التلفزيوني مثل الأنماط والقيم الاجتماعية[5]، ومستوى تطلعات واتجاهات وسلوكيات جماهير المشاهدين المتنوعة.

وهناك ايضاً عدد كبير من الأ□فال يبدون إعجابا بالصورة التي يشاهدونها عبر التلفزيون، ومن المتوقع أن تأثير وسائل الإعلام عليهم سيكون كبيرا حيث أظهرت نتائج بعض الدراسات أن أكثر من خمسين بالمائة من سكان العالم العربي في عمر يقل عن الثامنة عشرة، كما أن ثلث هذه الفئة هم في السادسة فما دون، بمعنى آخر هناك حوالي 20 مليون □فل مستقبلهم هو مستقبل المجتمع العربي[6].

ومن أهم مزايا وسائل الاعلام ما يرتبط بقدرتها على مخا□بة العين والأذن في آن واحد، الأمر الذي يسهل من تقبله إلى حد بعيد. وتشير إحدى الدراسات عن هذا الموضوع أن التلفزيون باعتباره أخطر أساليب التأثير في الجماهير لما له من خاصية لا تتوفر في غيره، وهي مخا□بة العين والأذن بالصورة والصوت وتتجلى أهمية ذلك إذا عرفنا أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة 90 % عن □ريق النظر وبنسبة 8% عن □ريق السمع[7].

وأيضاً إن التلفزيون وبرامجه المختلفة لها تأثير كبير على أنماط السلوك عند الأ□فال، فهو مكتسب من العادات والتقاليد والثقافة الموجودة في المجتمع حيث أن هذا ما يتبين من خلال بعض الدراسات التي أكدت بانه إذا كانت التربية تعنى بعملية التشكيل الإنساني للوليد البشري، فإن الوظيفة التربوية للتلفزيون تستند على أساس أن السلوك الإنساني سلوك مكتسب، أي أنه سلوك يتعلمه الفرد بتعامله مع أفراد المجتمع الآخرين[8].

والسلوك هو حالة من التفاعل بين الكائن الحي ومحيطه (بيئته)، وهو في غالبيته سلوك مُتعلَم (مكتسب)، يتم من خلال الملاحظة والتعليم والتدريب، ونحن نتعلم السلوكات البسيطة منها والمعقدة. وإنه كلما أتيح لهذا السلوك أن يكون منضبطاً وظيفيا ومقبولاً،كلما كان هذا التعلُم إيجابياً، وأننا بفعل تكراره المستمر نحيله إلى سلوك مبرمج الذي سرعان ما يتحول إلى "عادة سلوكية" تؤدي غرضها بيسر وسهولة وتلقائية.

إن مرحلة الطفولة ذات طبيعة مميزة لها خصوصية حيث تنفرد هذه المرحلة بقدرة الأطفال على إلتقاط وتخزين العديد من الخبرات والمواقف الحياتية التي يمرون بها، ومن الملاحظ أن الصورة التلفزيونية التي يتعرض لها الأطفال، تعمد إلى تشكيل نوعين من الأنماط السلوكية، فأما النوع الأول، فيسمى بالأنماط السلوكية المقبولة التي تحتاج للتثبيت والدعم لضمان إستمرارية حدوثها، وأما النوع الثاني، فيسمى بالأنماط السلوكية غير المقبولة والتي تحتاج لمزيد من التعديل.

وعليه نقوم بطرح الإشكال التالي:

كيف تؤثر الصورة في تشكيل الأنماط السلوكية لدى الاطفال؟

ولقد قمنا بطرح مجموعة من الإشكاليات الفرعية بما يخدم الإشكالية السابقة، وهي تتمثل فيما يلي:

1.ماهي أهم الأنماط السلوكية المقبولة التي يتم تشكيلها بفعل الصورة التلفزيونية لدى الأطفال؟

2.ماهي أهم الأنماط السلوكية غير المقبولة التي يتم تشكيلها بفعل الصورة التلفزيونية لدى الأطفال؟

الجانب المنهجي:

1.المنهج المستخدم: تختلف مناهج البحث حسب أهداف البحوث والدراسات والإشكاليات العلمية التي تطرحها، وفي هذا البحث اعتمدنا منهج المسح الإعلامي[9] الذي يعد أحد المناهج الأساسية في البحوث العلمية للحصول على الحقائق والمعلومات، فهو يدرس المتغيرات في وضعها الطبيعي كما هي في الواقع دون تدخل من الباحث[10].

ويتميز منهج المسح بمجموعة من المميزات، حيث إنه يركز على وحدة محددة في الحاضر زمانا ومكانا، يتولى وصفها وتحليلها وتفسيرها، فهو ليس حصر وجود لما هو قائم –فعلا– أو مجرد وصف للأوضاع الحالية للوحدة محل الدراسة، ولكنه يتجاوز ذلك إلى عملية التحليل والتفسير والمقارنة للوضع الحاضر ببعض المستويات واستخلاص النتائج وتقديم التوصيات التي توجه العمل وتعمل على الإصلاح لاحقا[11].

ولذلك قمنا بعملية المسح الشامل للبرامج التي تقدمها قناة م.ب.س 3 المتخصصة في بث البرامج الخاصة بالأطفال من مختلف الأعمار أثناء فترة الدراسة، وبغرض جمع المعلومات والبيانات وتصنيفها، استخدمنا تحليل المضمون كأداة يقوم عليها منهج المسح الإعلامي في دراستنا هذه.

2.أداة جمع البيانات: يعدّ تحليل المضمون أكثر الأدوات استخداما في بحوث الإعلام بصفة عامة وبحوث الصحافة بصفة خاصة. وقد تطور استخدامه منذ بداية الأربعينيات وحتى الثمانينيات، وقدمت العديد من الدراسات تعاريف مختلفة لتحليل المضمون، ومن أهمها التعريف الذي وضعه كل من: B. Berlson وPaul. F. Lazarsfeld في عام 1948، حيث عرفاه: "بأنه عبارة عن تقنية بحث يهدف من خلال استعمالها الوصف المنظم الموضوعي، والتحليل الظاهر والكمي لمحتوى العمليات الاتصالية"[12].

ومن التعاريف التي تعدّ شاملة تعريف سمير محمد حسين الذي يعرفه: "بأنه أسلوب أو أداة البحث العلمي، يمكن أن يستخدمه الباحثون على الأخص في الإعلام لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون لتلبية الاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث"[13].

يعتمد تحليل المضمون على الأسلوب الكمي في عمليات التحليل بهدف القيام بالتحليل الكيفي على أسس موضوعية[14]، الذي يبتعد عن لغة الأرقام في تفسير المضامين والتعبير عن النتائج برموز لفظية من خلال الاقتراب من وثائق التحليل (التلفزيون)، في حين يتم استخدام التحليل الكمي لتصنيف البيانات وتبويبها وإعطاء التكرارات المتضمنة في المادة التلفزيونية بناء على ما تم تحضيره من تحديد لفئات التحليل ووحداته.

3.عينة البحث: تشير هذه الخطوة إلى المادة التي سوف تخضع للدراسة، والتي يعرفها محمد عبد الحميد بأنها: "مجموع المصادر التي نشر أو ذيع فيها المحتوى المراد دراسته من خلال الإطار الزمني للبحث"[15].

أ.المدة الزمنية: تم اختيار الفترة الزمنية الممتدة من 25 جويلية إلى 31 جويلية 2016.

ب.اختيار عينة البحث: يتم اختيار عينة البحث عند استخدام تحليل المضمون بوصفها أداة وفق ثلاثة مراحل تم تحديدها كما يلي:

- **اختيار العينة الخاصة بالمصدر:**

وهي نقطة البدء في اختيار العينة، أي أنها تمثل المجتمع الأصلي للعينة، وفي هذه الدراسة تمثل القنوات التلفزيونية المتخصصة للأطفال المجتمع الأصلي. وتم اختيار قناة م.ب.س 3 لكونها من أقدم القنوات التي خصصت برامجها للأطفال.

- **اختيار عينة من برامج قناة م.ب.س 3:**

تم اختيار البرامج التي تبث من الساعة 12:00 إلى الساعة 22:00، وبعدها تبدأ إعادة نفس البرامج المقدمة في الفترة المسائية.

- **الخطوات المنهجية الخاصة بتحليل المضمون:**

بعد تحديد عينة البحث، تأتي مرحلة المشاهدة الدقيقة والمتكررة والمختارة في إطار الأهداف والإشكالية المحددة في الدراسة، قصد الإعداد الدقيق لفئات التحليل ووحداتها التي تعبر عن موضوع برامج الأطفال.

×تحديد وحدات التحليل:

اتخذت هذه الدراسة الموضوع كوحدة أساسية للتحليل، كونها أهم وحدات تحليل المضمون، مع تنوع المادة الإعلامية (أفلام، مسلسل،....) واختلاف موقعها.

كما أخذت الفكرة كوحدة قياس داخل كل موضوع، وتعتبر من أكثر الوحدات شيوعا، والهدف من وراء استخدامها هو التحديد الدقيق للمضمون.

×تحديد فئات التحليل:

إن الإعداد والتصميم الجيد لفئات تحليل المضمون يؤدي بالضرورة للوصول إلى نتائج عملية وبحثية دقيقة تجيب على الأسئلة المطروحة في الإشكالية. وفيما يتعلق بتحديد الفئات التي على ضوئها تم تقسيم جميع المعلومات وتصنيفها، فقد قسمناها إلى فئة أساسية خلال إجراء دراستنا، وهي:

×فئات تحليل المضمون: التي تتعلق بمادة المحتوى والأفكار التي تحتويها الصور التلفزيونية محل الدراسة أثناء معالجتها للموضوع، والتي تجيب على السؤال ماذا كتب؟ وماذا قيل؟ وتشمل بعض الفئات التالية[16]:

استمارة تحليل المضمون

أولا: الأنماط السلوكية المقبولة

1.فئة الأدوار الجنسية: وتتضمن المؤشرات التالية:

.ملابس كل جنس؛

.التسمية؛

.ول شعر الراس؛

.معدات اللعب؛

.القوة الجسدية؛

.أدوات التجميل؛

.حلق الذقن.

2.فئة اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الطبيعية:

.المكونات الدالة على البيئة الطبيعية؛

.أنماط البيئات الطبيعية؛

.فوائد البيئة؛

.الآثار السلبية.

3.فئة اكتساب مفاهيم صحية:

.سوء استعمال الأدوات المنزلية الحادة والكهربائية؛

.تحذيره من تناول الأ عمة وشرب المياه؛

.غسل الأيدي بالماء والصابون؛

.التأكيد على نظافة الجسم والمكان.

4.فئة تحسين مستوى لغة الطفل: من خلال

.الاعتماد على الجمل القصيرة؛

.اكتساب مفردات جديدة؛

.جعل الأ فال يألفون اللغة الفصحى.

5.فئة تعزيز المعتقدات الدينية:

.الشهادتين؛

.الصلاة؛

.الصوم؛

.الزكاة وحج بيت الله الحرام.

6.فئة استثارة الخيال العلمي:

.التركيز على الطرح الواقعي؛

.الابتعاد عن الخوارق.

ثانيا: الأنماط السلوكية غير المقبولة

1.فئة اكتساب نمط سلوكي يتسم بالخديعة والحيلة والتضليل: من خلال

.الحيلة والخديعة؛

.الحيطة والحذر.

2.فئة اكتساب التعصب:

.لون البشرة؛

.الجنس؛

.الأشكال المختلفة.

3.فئة اكتساب السلوك العدواني:

.الضرب والعض ورمي الأشياء؛

.الإهانة والتحقير والتهديد؛

.الشتم وإلصاق الأسماء؛

.إيذاء الآخرين.

تحليل وتفسير البيانات حسب الأنماط السلوكية في البرامج محل الدراسة:

تحليل البيانات حسب الأنماط السلوكية المقبولة: الأنماط السلوكية المقبولة، وهي تلك الأنماط من السلوك التي تحظى بالقبول الاجتماعي، وهنا سنركز على أهم الأنماط السلوكية المقبولة التي يتم تشكيلها بفعل الصورة.

1.فئة الأدوار الجنسية:

وجدنا أن 90 بالمائة من برامج عينة الدراسة تساهم في اكساب الطفل دوره الجنسي من خلال مجموعة من المؤشرات التي يركز التلفزيون على ابرازها ومن بينها:

• عرض صور تتناول الملابس المحددة لكل جنس مع التركيز على التباين في الملبس من حيث: التصميم، وشكل الملبس، وطريقة الارتداء...الخ.

• تركز الصورة على التسمية لكل من الجنسين، من خلال ربط صورة الذكر بأسماء معينة، وكذلك ربط صورة الانثى بأسماء معينة أيضا.

• كما تعرض هذه البرامج صور تتناول شعر الرأس في محاولة لجذب الانتباه إلى الفروق الجنسية.

• كما تركز الصورة على معدات اللعب المرتبطة بالجنس، فالذكر يلعب في العادة بألعاب مثل المسدس، الكرة،...الخ. والأنثى تلعب بلعبة الدمى والعرائس.

• كما تعمد برامج التلفزيون إلى اشاعة صور نمطية عن كل جنس، تلك الصور التي تعزز المعتقدات الشائعة بين الثقافة عن الجنسين فعلى سبيل المثال هناك صفات معينة تنعت بها الثقافة السائدة للذكر من بينها القوي، الشجاع، ...الخ. وهناك صفات تنعت بها الأنثى مثل متحفظة، ضعيفة، خجولة، عاطفية، تؤدي الاعمال المنزلية، ...الخ.

• ولعل من الفروق التي تركز عليها الصورة أدوات التجميل وطريقة التزيين الخاصة بالجنس، فالصورة تظهر طريقة التجميل لدى الأنثى من خلال استعمالها مساحيق التجميل،...الخ. في حين تظهر الصورة طريقة الزينة المتبعة لدى الذكر، من خلال التركيز على حلق الذقن وتصفيف الشعر،...الخ. وهذا في محاولة لتثبيت الدور الجنسي المتوقع منهما عند الانخراط في عمليات التفاعل الإجتماعي[17].

2.فئة اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الطبيعية:

لعل الصورة بسحرها وجاذبيتها، تعد الوسيلة المناسبة في الاسهام بتكوين عادات سلوكية ازاء البيئة الطبيعية. إذ وجدنا أن الصورة تركز على العناصر المكونة للبيئة الطبيعية بنسبة 100 بالمائة من خلال التعريف بالمكونات الدالة على البيئة الطبيعية من: درجات الحرارة، والرطوبة، والأمطار، والرياح وأشعة الشمس وكذلك التعريف بأنماط البيئات الطبيعية التي تضم: البيئة الجبلية، والسهلية والصحراوية.

في حين وجدنا أن 70 بالمائة من هذه البرامج لا تركز على تعريف صورة البيئة للطفل من خلال التطرق إلى فوائد البيئة وأثرها على ديمومة الحياة، والآثار السلبية في حال الإساءة إليها. هذا عكس ما توصلت اليه إحدى الدراسات التي أجريت على الأطفال العراقيين اثر المشاهدة المستمرة لبرنامج "افتح ياسمسم" المعد للأطفال[18].

والنتيجة هي أن الصورة تساهم في جعل الطفل يكتسب المعلومات المطلوبة عن بيئته الطبيعية وفق منهجية معينة.

3.فئة اكتساب مفاهيم صحية:

تشير الوقائع الميدانية إلى أن 75 بالمائة من البرامج محل الدراسة لا تشتمل على معلومات صحية تجعل صغار السن يكتسبون منها مفاهيم صحية. على سبيل المثال عدم وجود الصورة التلفزيونية التي تحذر من سوء استعمال الأدوات المنزلية الحادة والكهربائية، أو الأدوات الحارة كالمدفئة من أجل تنفير الطفل من الاقتراب من هذه الأدوات.

في حين وجدنا 25 بالمائة من البرامج محل الدراسة تعمد فيها الصورة إلى جعل الطفل يكتسب بعض المفاهيم الصحية وذلك بتحذيره من تناول الأطعمة وشرب المياه التي يجهل مصدرها، فضلا عن التشكيك بصلاحية تلك التي تباع على ناصية الطريق.

بالإضافة إلى بعض الصور التلفزيونية التي لوحظت في بعض البرامج القليلة المعدة للطفل، إشارات تحث على ضرورة غسل الأيدي بالماء والصابون قبل الأكل وتنظيف الأسنان بعد الأكل.

4.فئة تحسين مستوى لغة الطفل:

تشير الدراسات في هذا الصدد إلى أن مشاهدة البرامج التلفزيونية المعدة للأطفال، تؤدي إلى تحسين مستوى لغتهم، وأنه هناك مؤشرات ميدانية تعزز هذا الرأي ومن بينها[19]:

*الاعتماد على الجمل القصيرة.

*اكتساب مفردات جديدة.

*جعل الأطفال يألفون اللغة الفصحى.

من خلال تحليلنا لمضامين البرامج التي تبثها قناة م.ب.س.3، والموجهة إلى الأطفال من مختلف الأعمار وجدنا أن 100 بالمائة من هذه البرامج تركز على المؤشرات سالفة الذكر، أي اعتماد الجمل القصيرة التي تمكن الطفل من ادراك المعنى في وقت قصير، اكتساب الأطفال مفردات جديدة إن لم تكن ضمن رصيدهم اللغوي في وقت مضى، بالإضافة إلى ألفة الأطفال باللغة الفصحى هذا ما يؤهلهم إلى اتقان الحوار مع الآخرين إلى جانب تنمية قدراتهم في التعبير عن أفكارهم.

لكن الإشكال المطروح ليس في كمية هذه البرامج ولكن نوعية هذه البرامج أي نوعية الجمل القصيرة، والمفردات الجديدة، إذ وجدنا 70 بالمائة من هذه الجمل القصيرة والمفردات الجديدة تعلم العنف اللفظي بطريقة غير مباشرة، كما تحمل في طياتها قلة الإحترام في التعامل مع الأشخاص الأكبر سنا أو الأصدقاء.

مثلا: استخدام كلمات التفجير، القتل، النهب، الجريمة، السرقة، التحول من حالة إلى حالة، وجه البطولة المقلية، وصف الجرذان، العالم الرقمي، استخدام اسماء غريبة لوحوش.

استخدام كلمة القوة التي تترجم في تصرفات عنيفة.

5.فئة تعزيز المعتقدات الدينية:

من المفروض أن تساهم الصورة مع قنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى، في تعريف الطفل بالمعتقدات الدينية والتي ينبغي أن يعتقد بها، وذلك بتعليمه الأركان الخمسة التي يعتمد عليها الدين الإسلامي والمتمثلة في: الشهادتين، الصلاة، الصوم، الزكاة وحج بيت الله الحرام.

في حين وجدنا 100 بالمائة من البرامج محل الدراسة لا تركز نهائيا ولو بإشارة خفيفة إلى أي من المعتقدات الدينية، أي أن الجانب الديني مغيب نهائيا، مع العلم أنها فترة عطلة وكثير من الأطفال يشاهدون التلفزيون لمدة طويلة، ويعتبر المتنفس الوحيد لكثير من الأطفال الذين لا يستطيعون التنقل إلى أماكن أخرى.

6.فئة استثارة الخيال العلمي:

إن الخيال العلمي يعد من المقومات الرئيسية للعملية الإبداعية، وهناك طرق متعددة لاستثارته لدى الأفراد، ولعل الصورة التي تشتمل على تنبيهات غنية، تعد واحدة من هذه الطرق.

من خلال تحليلنا للبرامج محل الدراسة وجدنا 60 بالمائة منها تحمل في مضمونها خيالا علميا، لكن هذا الخيال العلمي غير ممنهج. أي:

- عدم التركيز على الطرح الواقعي، وعدم الابتعاد عن الخوارق عند تناول موضوعات الخيال العلمي.
- عدم التركيز على مفاهيم علمية تساعد الطفل على تفسير الظواهر الحادثة بطريقة بسيطة.

فكثير من الأشياء تبقى مبهمة عند الطفل ولا يجد لها تفسيرا، مثل السفر عبر الزمن، عودة مومياء من العالم الآخر، مشاهدة أشياء غير منطقية سيارة تتحول إلى سفينة فضائية أو إلى طائرة.

وجود أشخاص بلون بشرة مختلفة عن المعتاد "أخضر، أحمر، أزرق" وجود أشكال مختلفة لحيوانات تتكلم وتتعايش مع الإنسان بطريقة عادية شكل قرش، اخطبوط...الخ.

تحليل البيانات حسب الأنماط السلوكية غير المقبولة في البرامج محل الدراسة:

الأنماط السلوكية غير المقبولة، ونقصد بها تلك الأنماط من السلوك التي لا تحظى بالقبول الاجتماعي، كما انها لا تتطابق مع المعايير الاجتماعية السائدة، وفيمايلي سنركز على الأنماط السلوكية غير المقبولة التي تعمل الصورة على تشكيله.

1.فئة اكتساب نمط سلوكي يتسم بالخديعة والحيلة والتضليل:

لقد تبين من خلال تحليل مضمون برامج عينة الدراسة أن 55 بالمائة منها تشير إلى النمط السلوكي الذي يتسم بالخديعة والحيلة والتضليل. وهذا نجده في العديد من المواقف منها:

- الموقف الذي يقوم به الطفل بوضع دمية في مكانه من أجل الخروج خلسة على والديه، وعندما يتفقد أحد الوالدين غرفة الابن يجدونه في السرير، هذا السلوك يتسم بالخديعة والحيلة والتضليل.
- استخدام سلوك يتسم بالحيلة والخداع لتمرير أشياء غير قانونية واستغلال الأصدقاء دون علمهم.
- نشر السلوكات الشريرة من خلال السرقة، وضع الخطط لإيداء الأخرين،...الخ.
- يخطط لوضع شيء في □ريق الآخرين لكي يقعوا، أو أن يعمل على تخريب أدوات الأخرين وممتلكاتهم دون أن يعرفوا.

وهذه النتيجة تعزز ما توصلت اليه العديد من الدراسات التي تؤكد على أن أفلام الجريمة، واللصوصية، والسرقة، ومطاردات الشر□ة تكسب المشاهدين ولا سيما الأ□فال والمراهقين منهم على وجه التحديد، نمطا سلوكيا يتسم بالحيلة والتضليل[20]. فمابالك إذا كانت هذه البرامج عبارة عن رسم متحركة موجهة للأ□فال بمختلف أعمارهم؟. كما وجد بأن الصورة التي يتعرض لها المشاهدون من صغار السن، لا تعمد إلى جعلهم يكتسبون أنما□ا سلوكية تتصف بالحيلة والخديعة فقط وإنما تجعلهم أيضا يكتسبون أنما□ا سلوكية تتصف بالحيطة والحذر والتجنب، لئلا يقعوا في قبضة الشر□ة[21].

2.فئة اكتساب التعصب:

لقد وجد أن الصورة قد تنمي التعصب لدى الأ□فال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك من خلال عرض بعض الفئات الاجتماعية المستهدفة بصورة سلبية[22]. بالإضافة إلى التركيز على الفروق الموجودة بين الجماعات المختلفة ومحاولة تخصيص بعض الصفات الايجابية لإحداها، وهذا سيؤدي بالطبع إلى شعور الجماعة بالتفوق والتميز في حين أن الجماعات الأخرى ستشعر بالضآلة وعدم الأهمية.

ومن خلال تحليلنا لمضمون برامج عينة الدراسة وجدنا أن هذه الأخيرة لا تعمل على تنمية التعصب بين الأطفال، فلا تمييز بين الطفل صاحب البشرة البيضاء والبشرة السوداء، وكذلك تقدم صورة الفتاة الشجاعة والمغامرة كصديقها الذكر، فالجميع متعاون للدفاع عن كوكب الأرض من الأشرار، بالإضافة إلى الدمج بين العنصر البشري وبين مخلوقات مختلفة من الحيوانات التي تقدم صورة التعايش والتعاون بين الأجناس المختلفة مهما اختلفت أشكالها وألوانها، ففي بعض الأحيان لا يمكن التعرف حتى على شكل الصورة الغريبة التي تبث.

2.فئة اكتساب السلوك العدواني:

السلوك العدواني، هو إلحاق الأذى بالآخرين. وقد يكون عدواناً ظاهراً أو باطناً ضمنياً. العدوان الظاهر هو جسدي مثل: الضرب والعض ورمي الأشياء، أو نفسي مثل الإهانة والتحقير والتهديد، أو لفظي مثل: الشتم وإطلاق الأسماء، أما العدوان الباطن فهو عملية التخطيط لإيذاء الآخرين دون أن يعلن المعتدي عن عدوانه[23].

في الحقيقة هناك جدل كبير حول العلاقة بين المشاهدة التلفزيونية والسلوك العدواني، ولم تتوصل نتائج الدراسات بصددها إلى نتائج نهائية وقطعية. وهناك العديد من النظريات التي تفسر العلاقة بين مشاهدة الصورة التي تنطوي على السلوك العدواني.

ولكننا لن نخوض في هذا الجدل لأن هذا يحتاج إلى وقت أطول وإمكانيات أكثر لإخضاع الأطفال إلى التجربة العملية والملاحظة.

وعليه ومن خلال تحليلنا لفئة اكتساب السلوك العدواني اعتمادا على المؤشرات السالفة الذكر في التعريف، وجدنا أن 90 بالمائة من برامج عينة الدراسة تنمي السلوك العدواني عند الطفل.

أمثلة عن العنف الجسدي والنفسي: الضرب، المصارعة في أغلب الوقت، الجري، النار، الدماء، الدمار، التكسير، استخدام الأسلحة الثقيلة، استخدام المسدسات والرشاشات في عملية المواجهة بين الطرفين، المتفجرات.

أمثلة عن العنف اللفظي: سأفجرك، سأقتلك، سأدمرك، أيها الجرذ، الأحمق، الغبي، السارق،...الخ.

أمثلة عن العدوان الباطن: خطط سرية، استخدام الكذب للتبرير، استخدام الخديعة والحيل،...الخ.

نتائـــج الدراســـة: من بين أهم نتائج الدراسة مايلي:

1. التركيز على الصور النمطية بين الجنسين على شاشة التلفزيون، وهذا يساهم في الامتثال للأدوار الجنسية المحددة ثقافيا في المجتمع.

2.عدم تمكن البرامج التلفزيونية من تكوين عادات سلوكية ازاء البيئة الطبيعية، ولهذا من الضروري تظافر الجهود بين مختلف قنوات التنشئة الاجتماعية وقنوات الاتصال الجماهيري من أجل تنمية الوعي البيئي في سن مبكر للأطفال.

3.غياب كلي عبر شاشة التلفزيون لعرض الشعائر الدينية، وهذا يستلزم انتاج عربي حسب طبيعة الجماهير العربية والتركيز على الجوانب الدينية.

4.عدم وجود توجيه ومساعدة الأطفال على اكتساب عادات صحية سليمة، إلا في القليل من البرامج مثل صح وخطأ.

5.إن مشاهدة الأطفال لهذه النوعية من البرامج يؤدي إلى تحسين مستوى لغتهم ولكن بطريقة سلبية.

6.التركيز على الطرح غير الواقعي للأحداث، وعدم الابتعاد عن الخوارق عند تناول موضوعات الخيال العلمي يشعر الطفل بالعجز وعدم القدرة على عمل أشياء معينة. لذلك على هذه البرامج إعادة تكييفها من خلال الابتعاد عن موضوعات الخوارق لكي تقوم الصورة بوظيفة استثارة الخيال العلمي عند الأطفال، بالإضافة إلى تزويد الأطفال بالمفاهيم العلمية المطلوبة وهذا من خلال تركيز الصورة على معالجة مشكلة علمية معينة، تجعل الأطفال يبحثون عن حلول لها.

7.التركيز على مفاهيم غير علمية لا تساعد الطفل على تفسير الظواهر الحادثة بطريقة بسيطة.

8.كما وتبين من خلال العديد من الدراسات أن التلفزيون يؤدي إلى الكسل وعدم التفكير لأنه يعطي المعلومات على الشاشة دون إعطاء حوافز على التفكير أو الاستنتاج أو الاستقراء أو الاستنباط لذلك فيعمل على تعويد الأشخاص على أسلوب التلقين من غير أن يكون عندهم أي استنتاج لأخذ الأفكار والمعلومات المطلوبة.

الخاتمـــــة:

إن ما يعرض في برامج التلفزيون المخصص للأطفال لا تعكس مرحلة الطفولة، وبعيدة جدًا عن حياة الطفل وعملية التربية، والطغيان الآن لثقافة الصورة على شخصية وعقول أطفالنا ومراهقينا بادية الوضوح من خلال سلوكهم الذي يقتدي ويقلد كل ما يشاهده من الصور المتحركة إلى الأفلام والمسلسلات والخ.....، فلم يعد المثل الأعلى للطفلة الأم التي معها في المنزل ولذلك يجب على الأم بأن تجلس وقتًا أكبر مع أطفالها وكذلك المحطين به لأنه جزء من مسؤولية كل المحيطين بالطفل مثل الأسرة والمدرسة ومؤسسات التنشئة المختلفة وأن لا

نتركهم فريسة للإعلام المغرض الموجه، وتختار لهم المفيد، وتحفظهم من السيئ، وتساعد أفالها على أن يعيشوا سنهم وفولتهم، لأنهم إن لم يعيشوا فولتهم بصورة ببيعية، فلن يعيشوا أى مرحلة أخرى بصورة سوية.

الاحالات والمراجـــع:

(1) افلاطون: فلسفته وآراءه في المدينة الفاضلة، مطبعة بيروت، لبنان، 1970، ص98 .

(2) أمثال صينية –جمع مكتبة المتنبي، 1975، العراق، ص65.

(3) رولان بارت: الصورة والتاثير الاعلامي، ترجمة د.عد الجبار الغضبان مطبعة الثورة –اليمن 2001 .

(4) محمد معوض: المدخل إلى فنون العمل التلفزيوني، دار الفكر العربي، القاهرة ،1992 ، ص 9 .

(5) المرجع نفسه، ص 15 .

(6) هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ، بيروت، 1991 ، ص 107.

(7) سامية احمد علي وعبد العزيز شرف: الدراما في الإذاعة والتلفزيون ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ،1999 ، ص 229 .

(8) محمد ضياء الدين عوض: التلفزيون والتنمية الاجتماعية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1996 ، ص 42.

(9) فاروق أبو زيد: مدخل إلى علم الصحافة ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998 ، ص 21.

(10) جبايلية ياسين، زنانرة الخير وآخرون: " المعالجة الصحفية الجزائرية اليومية لحادثة 11 سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية 2001 – تحليل محتوى جريدتي الخبر والنصر–"، (رسالة ليسانس غير منشورة) ، تحت إشراف: د. بوبنيدر نصيرة ، قسم علوم الإعلام والاتصال ، جامعة عنابة ، السنة الجامعية 2001–2002 ، ص 13.

(11) لمرجع نفسه ، ص 13.

(12) . Roger Muccheilli (sous la direction): l'Analyse de Contenu des Documents et des Communications, 5éme édition, presse universitaire de France, Paris, 1984, P 14.

(13) سمير محمد حسين: بحوث الإعلام –دراسات في مناهج البحث العلمي–، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة، 1995 ، ص 235.

(14) محمد عبد الحميد: بحوث الصحافة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1992 ، ص 134.

(15) المرجع نفسه، ص 243.

(16) محمود شمال حسن: الصورة والاقناع، دار الافاق العربية، القاهرة، 2005، ص 100.

(17) المرجع نفسه، ، ص 108.

(18) مصباح الخير، هاشم السامرائي: "آثر برنامج افتح ياسمسم على أطفال بغداد"، مجلة البحوث، العدد 21، ديسمبر 1987، ص 53.

(19) محمود شمال حسن، مرجع سابق، ص 120.

(20) المرجع نفسه، ص 129.

(21) المرجع نفسه، ص 130.

(22) المرجع نفسه، ص 131.

(23) أبو طالب فتحي، الصايغ ليلى وآخرون: المنهاج الوطني التفاعلي، مطابع الرأي التجارية، عمان، 2004، ص 87.